خطبة الجمعة

التي ألقاها أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز

الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

بتاريخ ٢٠٢٥/٨/١٥

في المسجد المبارك بإسلام آباد في بريطانيا

*****

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرّجيم. ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾، آمين.

في الخطبة الماضية أخبرتكم عن هدم ثلاثة أصنام كبار، وقد ورد في تفصيل ذلك أن النبي ﷺ بعث سرية سعد بن زيد الأشهلي رضي الله عنه في الرابع والعشرين من رمضان من العام الثامن الهجري إلى منى لهدم صنم مَناة. كان هذا الصنم قد نُصب على ساحل البحر الأحمر بالقرب من قُديد في مكان يُسمى مُشَلَّل، ولهذا السبب سميت هذه السرية بـــ"سرية مُشَلَّل" أيضًا.

فسار سيدنا سعد بن زيد الأشهلي في عشرين فارسا حتى انتهى إليها وعليها سادن[1]، فقال لسعد: ماذا تريد؟ قال: هدْمَ مناة. قال: أنت وذاك (أي سيكون هذا صعبا عليك) فتقدم إليها سعد رضي الله عنه. يقول الراوي (ولا نعرف مصداقيته إذ يضيف الناس أحيانا من عند أنفسهم لتزيين الكلام) أن امرأة سوداء عريانة ثائرة الرأس خرجت من الحجرة، فقال السادن: يا مناة دونك بعض غضباتك! وقَتَلَ سعد بن زيد الأشهليُّ السادنَ. (إذا كانت رواية القتل هذه صحيحة فمن المحتمل أنه أبدى شيئا من المقاومة فقُتل، فالقتل إثر الموادعة ليس من التعليم الإسلامي، ولا يبدو هذا التصرف صحيحا، إذ هو مناف لتوجيهات عامة للنبي ﷺ) باختصار توجه سيدنا سعد مع أصحابه إلى الصنم، فهدموه، ثم عاد مع أصحابه إلى النبي ﷺ.

كتب ابن هشام أن رسول الله ﷺ أرسل أبا سفيان بن حرب إلى مناة. كما يُقال إن هذه المهمة أنجزها سيدنا علي رضي الله عنه. ولكن بحسب رأي الواقدي وابن سعد، فإن سعد بن زيد رضي الله عنه هو الذي هدم هذا الصنم. (وبقية الرواية أيضا إذا كانت من الواقدي فمن المحتمل أنه أضاف بعض الأمور).

---

[1] السادن: تعني هنا خادم بيت الأصنام

سرية خالد بن الوليد ﷺ إلى نخلة في الخامس والعشرين من رمضان المبارك من العام الثامن الهجري الموافق يناير ٦٢٩م: لقد بعث النبي ﷺ سرية مكونة من ثلاثين فرداً بقيادة خالد بن الوليد ﷺ إلى نخلة، لهدم الصنم المشهور لقريش المسمى العُزَّى.

وادي النخلة يقع على مسافة يوم واحد شرقيَّ مكة، بين مكة والطائف.

كان هناك بيت في نخلة، وكان بنو شيبان هم القائمين على حراسته ورعايته، وكانوا حلفاء بني هاشم. كانت العُزَّى أكبر أصنام قريش. وقد روى الإمام البيهقي أن بيتها كان يتكون من ثلاث شجرات سَمُرات. أي كانت تحيط به.

يقول ابن إسحاق إن حاجب العُزَّى حين علم بمجيء خالد علق سيفه عليها ثم صعد الجبل وهو يقول:

يَا عُزَّ شُدِّيْ شِدَّةً لَا شَوٰى لَهَا[٢]
عَلٰى خَالِد أَلْقِي الْقِنَاعَ وَشَمِّرِي
يَا عُزَّ إِنْ لَمْ تَقْتُلِي الْمَرْءَ خَالِدًا
فَبُوْئِيْ بِإِثْمٍ عَاجِلٍ أَوْ تَنَصَّرِي

فلما انتهى إليها سيدنا خالد قطع أشجار السمر وهدم البيت الذي كانت به العزى، ثم رجع إلى رسول الله ﷺ وأخبره بذلك، فقال ﷺ: هل رأيت هناك شيئا معينا، فأجاب خالد بالنفي، فقال ﷺ إذن لم تهدم العزى. فارجع إليها واقض عليها. فخرج سيدنا خالد فور تلقي الأوامر لتنفيذها، فلما رآه حراس الصنم صعدوا الجبل، وهم يقولون يا عزى أهلكيهم. فخرجت من بيت الصنم امرأة سوداء ثائرة الرأس (ويبدو أنه كانت لهم نساء هناك أيضا) فقرأ سيدنا خالد البيت العربي التالي:

يَا عُزَّ كُفْرَانَكَ لَا سُبْحَانَكْ
إِنِّيْ رَأَيْتُ اللهَ قَدْ أَهَانَكْ

ثم رجع إلى النبي ﷺ فأخبره عن تفصيل ذلك: فقال ﷺ: "نعم تلك العُزَّى، وقد يئستْ أن تُعبد ببلادكم أبدا".

بعدها نجد ذكر سرية عمرو بن العاص ﷺ إلى سُواع، في رمضان من العام الثامن بعد الهجرة الموافق ليناير ٦٢٩م. فقد بعث النبي ﷺ عمرو بن العاص ﷺ إثر هدم العُزَّى للقضاء على صنم سُواع وكان معه بعض الصحابة، لكن لم يُذكر عددهم.

كان سُواع صنمًا لبني هُذَيْل، يقع في رُهاط على الساحل غربي المدينة، على بعد ثلاثة أميال من مكة.

وكان شكل هذا الصنم على هيئة امرأة، وكان الناس يعظمونه ويطوفون حوله. وكانت بنو

---

[٢] لا شوى لها: لا بقاء بعدها

لحيان، وهم فرع من هُذَيْل، هم المسئولون عنه.

ذُكر هذا الصنم في القرآن الكريم مع أصنام أخرى، حيث ورد ذكره في سورة نوح: ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: صَارَتْ الْأَوْثَانُ الَّتِي كَانَتْ فِي قَوْمِ نُوحٍ فِي الْعَرَبِ بَعْدُ أَمَّا وَدٌّ كَانَتْ لِكَلْبٍ بِدَوْمَةِ الْجَنْدَلِ وَأَمَّا سُوَاعٌ كَانَتْ لِهُذَيْلٍ وَأَمَّا يَغُوثُ فَكَانَتْ لِمُرَادٍ ثُمَّ لِبَنِي غُطَيْفٍ بِالْجَوْفِ عِنْدَ سَبَإٍ وَأَمَّا يَعُوقُ فَكَانَتْ لِهَمْدَانَ وَأَمَّا نَسْرٌ فَكَانَتْ لِحِمْيَرَ لِآلِ ذِي الْكَلَاعِ أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ فَلَمَّا هَلَكُوا أَوْحَى الشَّيْطَانُ إِلَى قَوْمِهِمْ أَنْ انْصِبُوا إِلَى مَجَالِسِهِمْ الَّتِي كَانُوا يَجْلِسُونَ أَنْصَابًا وَسَمُّوهَا بِأَسْمَائِهِمْ فَفَعَلُوا فَلَمْ تُعْبَدْ حَتَّى إِذَا هَلَكَ أُولَئِكَ وَتَنَسَّخَ الْعِلْمُ عُبِدَتْ (أي صنعوا لهم أصناما وسمّوها بأسمائهم وبدأوا يعبدونها).

حين وصل سيدنا عمرو بن العاص إلى سُواع بموضع رُهاط لقيه السادن، فقال له قد أتيتُ بأمر النبي ﷺ لهدم هذا الصنم، فقال له لن تقدر على ذلك، فلما سأله عن سبب ذلك قال سوف تُمنَع من ذلك في كل حال، فقال له حضرته ويحك، وهل يسمع أو يبصر! ثم دنا منه فهدمه وأمر أصحابه أن يهدموا الحجرة التي بنيت بجواره، فهدموها. ثم سأل السادن كيف رأيت؟ فقال بعد ما رأى مصير إلهه: إنني أطيع الله وأُسلم. ومن هنا أيضا تبين أن ما ذُكر سابقا من قتل السادن أو غيره، يستحق البحث.

سرية خالد بن الوليد إلى بني جَذيمة من كِنانة وكانت هي الأخرى في شوال العام الثامن الهجري.

فبعد فتح مكة حين رجع خالد بن الوليد إلى النبي ﷺ من مهمة هدم العُزَّى بعثه إلى بني جَذيمة وكانوا فرع بني كِنانة وكانوا مقيمين ناحية يَلمْلَم من مكة. فأمر النبي ﷺ سيدنا خالدا أن يدعوهم إلى الإسلام ونهاه عن القتال، (يجب أن نضع في الحسبان دوما هذا المبدأ الأساسي ألا يكون قتالٌ) فسار سيدنا خالد بن الوليد في ثلاثمائة وخمسين رجلا من المهاجرين والأنصار وبني سُليم.

فلما وصل إليهم خالد وجدهم قد تسلحوا على شاكلة المهاجمين.

فقال لهم سيدنا خالد أن يلقوا السلاح، فَإِنّ النّاسَ قَدْ أَسْلَمُوا. فقام منهم رجل يقال له جَحْدَم وخاطب قومه قائلا: يا بني جَذيمة لا تلقوا السلاح، إنّهُ خَالِدٌ وَاللّهِ مَا بَعْدَ وَضْعِ السّلَاحِ إلّا الْإِسَارُ وَمَا بَعْدَ الْإِسَارِ إلّا ضَرْبُ الْأَعْنَاقِ وَاللّهِ لَا أَضَعُ سِلَاحِي أَبَدًا. فقالوا له لماذا عزمت على سفك دمائنا، ألق السلاح، فظلوا ينصحوه حَتّى نَزَعُوا سِلَاحَهُ. لكنهم بعد وضع السلاح أُسروا، وفي رواية أن كل مسلم أعطي منهم واحدا أو اثنان، فباتوا أسارى. فربما أُسروا لأنهم كانوا قد أخذوا السلاح أول الأمر وكانت نيتهم غير واضحة. باختصار قد ورد في رواية أن سيدنا خالدا حين وصل إلى هناك ودعاهم إلى الإسلام قالوا صبأنا صبأنا بدلا من أن يقولوا أسلمنا، فظن سيدنا خالد لسوء فهْم أنهم ليسوا مسلمين، فأفتى بقتلهم. (هذا التأويل يقدم).

قال ابن سعد إن خالدا سألهم بعد الوصول إليهم عن دينهم فقالوا، نحن مسلمون ونصلي ونفعل كذا وكذا. فقال لهم سيدنا خالد فلماذا إذن قد حملتم السلاح؟ فقالوا: "هناك عداوة قديمة بيننا وبين إحدى قبائل العرب، فخشينا أن تكونوا أنتم تلك القبيلة المعادية، فحملنا السلاح".

إذا كنا نريد أن نؤول ذلك فيبدو أن هذا الوضع جعل خالدا ﷺ حذرًا، ونشأت في قلبه بعض الشكوك حولهم. على كل حال إن الروايات تشير إلى أن هؤلاء الأسرى كانوا يصلون ويَبدون مسلمين، لكن من المحتمل أن يكون بينهم أشخاص متمردون مثل جَحْدَم ومن يؤيده، مما جعل خالدًا غير مطمئن من قِبلهم. كما أن قول بعضهم "صَبَأْنَا صَبَأْنَا" (أي ارتددنا) نبَّه خالدًا أكثر. لذلك، أصدر في آخر الليل فتوى بأن قتل هؤلاء الأسرى هو الأنسب. فقتل بعض المسلمين أسراهم بناءً على ذلك، لكن المهاجرين والأنصار الذين كانوا مسلمين قدامى لم يتفقوا مع رأي خالد ﷺ فلم يقتلوا أسراهم. ذهب سيد الأنصار، أبو أُسيد الساعدي، إلى خالد بن الوليد ﷺ وأخبره أن هؤلاء مسلمون وأن قتلهم لا يجوز. كما لم يتفق عبد الله بن عمر ﷺ وسالم مولى أبي حذيفة ﷺ أيضا مع رأي خالد، ومنعا بقية رفاقهما من قتل أسراهم. فوصل أحد أولئك الذين أطلق سراحهم إلى النبي ﷺ في المدينة وأطلعه على الوضع، فقال له ﷺ ألم يختلف أحدهم مع خالد أو لم يمنعه عن ذلك؟ فقال كان هناك رجل أبيض معتدل القامة وآخر طويل القامة قد كَلَّما خالد، وقد تحدث معه أحدهما بلهجة حادة قليلا، فكان سيدنا عمر ﷺ موجودا في المجلس

فَقَالَ لرَسُولَ اللّه ﷺ: أَمّا الْأَوّلُ يَا سيدي، فَابْنِي عَبْدُ اللّهِ (أي عبد الله بن عمر الذي وصف برَجُل طَوِيل) وَأَمّا الْآخَرُ فَسَالِمٌ مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ.

فلما علم النبي ﷺ عن هذا حزن كثيرًا وقال: لم آمر خالد بقتلهم، إنما أمرته أن يدعوهم إلى الإسلام. ثم رفع يديه فقال: اللَّهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ مَرَّتَيْنِ.

كذلك أظهر ﷺ استياءه لخالد بن الوليد على استعجاله في أخذ القرار، إذ كان ينبغي عليه أن يحقق في الأمر جيدًا.

ثم أرسل ﷺ عليًّا إلى بني جَذيمة ليعطيهم دية القتيل وللنظر في أمرهم كله.

فَخَرَجَ عَلِيّ حَتّى جَاءَهُمْ، فَوَدَى لَهُمْ الدّمَاءَ وَمَا أُصِيبَ لَهُمْ مِن الْأَمْوَالِ حَتّى إنّهُ لَيَدي لَهُمْ مِيلَغَةَ[٣] الْكَلْبِ، حَتّى إذَا لَمْ يَبْقَ شَيْءٌ مِنْ دَمٍ وَلَا مَالٍ إلّا وَدَاهُ بَقِيَتْ مَعَهُ بَقِيّةٌ مِنْ الْمَالِ، فَقَالَ لَهُمْ عَلِيّ رِضْوَانُ اللّهِ عَلَيْهِ حِينَ فَرَغَ مِنْهُمْ: هَلْ بَقِيَ لَكُمْ بَقِيّةٌ مِنْ دَمٍ أَوْ مَالٍ لَمْ يُودَ لَكُمْ؟ قَالُوا: لَا. قَالَ فَإِنّي أُعْطِيكُمْ هَذِهِ الْبَقِيّةَ مِنْ هَذَا الْمَالِ احْتِيَاطًا لِرَسُولِ اللّهِ ﷺ مِمّا لَا يَعْلَمُهُ وَلَا تَعْلَمُونَهُ. ثُمّ رَجَعَ عليّ إلَى رَسُولِ

[٣] ميلغة الكلب: الإناء الذي يأكل أو يشرب فيه الكلب

اللّه ﷺ فَأَخْبَرَهُ الْخَبَرَ وقال: أرجعت لَهُمْ حتى أصغر الأشياء وأتفهها وأعطيت لهم ما بَقِيَ مَعِي بَقِيّةٌ مِنْ الْمَالِ. فسُرّ النبي ﷺ كثيرًا وقَالَ لعلي: أَصَبْت وَأَحْسَنْت.

وكان النبي ﷺ قد رأى قبل هذه الواقعة رؤيا ذُكرت في السيرة لابن هشام، قَالَ رَسُولُ اللّه ﷺ رَأَيْتُ كَأَنّي لَقِمْت لُقْمَةً مِنْ حَيْسٍ (طعام يُصنع من خلط التمر والجبن والسمن) فَالْتَذَذْتُ طَعْمَهَا، فَاعْتَرَضَ فِي حَلْقِي مِنْهَا شَيْءٌ حِينَ ابْتَلَعْتهَا، فَأَدْخَلَ عَلِيّ يَدَهُ فَنَزَعَهُ؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الصّدّيقُ ﷺ يَا رَسُولَ اللّه ﷺ هَذِهِ سَرِيّةٌ مِنْ سَرَايَاك تَبْعَثُهَا، فَيَأْتِيك مِنْهَا بَعْضُ مَا تُحِبّ، وَيَكُونُ فِي بَعْضِهَا اعْتِرَاضٌ، فَتَبْعَثُ عَلِيًّا فَيُسَهّلُهُ أي يصحح ذلك الأمر.

وهكذا تحققت الرؤيا بما حدث في هذه السريّة.

لقد كتب شارح البخاري، السيد زين العابدين ولي الله شاه، وهو من صلحاء الجماعة الأحمدية المعروفين، شرحًا لصحيح البخاري. كتب يقول في تحليله لهذا الحادث والروايات المتعلقة به:

ورد في كل من الطبقات لابن سعد والسيرة لابن هشام ذكر هذه البعثة، حيث أرسل النبي الكريم ﷺ بعد فتح مكة عدة سرايا إلى جهات مختلفة لمعرفة ميل بعض القبائل نحو الإسلام (وليس لإكراههم على الإسلام). وكان إرسال خالد بن الوليد إلى بني جذيمة بهذا الهدف نفسه. وقد ورد في الطبقات لابن سعد بوضوح بهذه الكلمات: "بَعَثَهُ إِلَى بَنِي جَذِيمَةَ دَاعِيًا إِلَى الْإِسْلَامِ وَلَمْ يَبْعَثْهُ مُقَاتِلًا". يعني أن النبي الكريم ﷺ أرسل خالد بن الوليد مع ثلاثمائة وخمسين من المهاجرين والأنصار في شوال ٨ هـ إلى بني جذيمة من بني كنانة، الذين كانوا يقيمون في ضواحي يَلَمْلَمْ بالقرب من مكة، لدعوتهم إلى الإسلام و لم يُرسله للقتال. وكانت هذه القبيلة تميل إلى الإسلام. تُعرف هذه البعثة أيضًا بيوم الغميصاء. (والغُمَيصَاء تعني الماء الناقع من العين، وهو مكان في البادية بالقرب من مكة المكرمة كان بنو جذيمة يقيمون فيه.) روى عبد الله بن عمر ﷺ، وهو أحد رواة هذه الرواية، أنه كان موجودًا في هذه البعثة. وبيانه موجز في هذا الخصوص، أما ابن اسحاق فقد ذكر تفاصيل هذه الواقعة ويتضح منها أن نفرا من بني جذيمة رفضوا قبول الإسلام، بينما كان أغلبهم قد أسلموا. وعليه فإن المنكرين للإسلام منهم تسلحوا وبدؤوا القتال، مما دفع خالد بن الوليد لمواجهتهم، وقد أُسروا بعد هزيمتهم. وعندما رأى بعض هؤلاء الأسرى أنفسهم في خطر، بدؤوا يعلنون إسلامهم بكلمة "صبأنا صبأنا"، وهي تعني: "صرنا صابئة" أي غيّرنا ديننا. كان أهل مكة يطلقون على النبي ﷺ لقب "الصابئ" سخريةً به، في محاولة لإثارة الكراهية ضده في نفوس الناس، زاعمين أنه غيّر دينه.

على أية حال، لم يعبّر هؤلاء المقاتلون عن قبولهم للإسلام بوضوح وانشراح، بل استعملوا كلمة "صبأنا". وكانوا يهدفون من خلال هذا التعبير إلى إنقاذ أنفسهم من القتل في المعركة إلا أنهم لم يفلحوا في ذلك.

وذكر عبد الله بن عمر أنه لم يقتل أسراه بعد تلقي رسالة خالد بن الوليد بقتلهم، وعندما ذكر للنبي ﷺ ذلك رفع ﷺ يديه معبرًا عن استيائه وتبرئه من تصرف خالد بن الوليد.

وذكر ابن إسحاق وابن سعد أن بعض المجاهدين كانوا من قبيلتي بني سُليم ومُدلج، وهما من فروع بني كنانة مثل بني جذيمة، وقد سبق أن تسببوا في إلحاق الضرر ببني جذيمة في حروب سابقة. فلما رأى بنو جذيمة أشخاصًا من بني سليم ومُدلج مع جيش المسلمين، تسلحوا لمواجهتهم. فقال لهم خالد: "الناس قد أسلموا، فلمَ هذه المعركة؟ ألقوا سلاحكم". لكن زعيمًا يُدعى جَحْدَمْ نصحهم بعدم إلقاء السلاح، محذرًا من القتل أو الأسر كما ذُكر. فقد منعه بعض أفراد القبيلة وقالوا له: لمَ تُسبب إراقة الدماء؟ فإن الناس قد أسلموا.

وتُظهر رواية ابن هشام استمرار ثأرات الدم بين فروع بني كنانة، مما دفع بعضهم للقتال، فأسفر ذلك عن مقتل وأسر عدد من الأفراد.

ويتبين أن بعض محاربي بني سليم قتلوا أسراهم بدافع ثأرات سابقة بناءً على فتوى خالد بن الوليد، معتبرين إعلان إسلامهم نفاقًا. لكن المهاجرين والأنصار رفضوا هذه الفتوى لخالد وأطلقوا سراح أسراهم الذين أعلنوا إسلامهم بالكلمات المذكورة. فإنهم أطلقوا سراحهم بدلا من قتلهم.

وفتوى النبي ﷺ كانت واضحة، كما يتضح من رواية عبد الله بن عمر، أن قول خالد بن الوليد بقتل الأسرى لم يكن أمرًا منه بل كانت هي فتواه التي لم يوافق عليها أغلب الصحابة. إذ لو كان أمرًا لامتثلوا له جميعًا دون اختلاف. لكن قد أخطأ خالد في الإفتاء من بعض النواحي، مما أدى إلى حزن النبي ﷺ الشديد، فأرسل ﷺ عليًّا للتعويض عن هذا الخطأ، فدفع دية كل طفل صغير قُتل، وحتى الكلاب التي قُتلت، وقد ورد في السيرة لابن هشام أنه أضاف إلى الدية المعتادة مبالغ إضافية.

وذكر الإمام الباقر أيضًا تعويض الأضرار عن طريق علي. وقال إن قول: "فَجَعَلَ خَالِدٌ يَقْتُلُ مِنْهُمْ وَيَأْسِرُ" لا يعني أنه قتل مَن ألقى سلاحه.

ومن الروايات التي أوردها ابن سعد، رواية عن ابن أبي حَدْرَد الأسلمي الذي كان موجودًا في هذه البعثة، ويتضح منها أن بعضهم قاتلوا. وذُكر أنه عندما رأى خالد بني جذيمة مسلحين، سألهم: "ما بال السلاح عليكم؟" فقالوا: "إن بيننا وبين قوم من العرب عداوة، فخفنا أن تكونوا هم، فأخذنا السلاح". فأمر خالد بأسرهم، فكُتّفت أيديهم ووزّعوا بين أصحابه.

نقل الإمام ابن حجر قوله إن المقاتلين استسلموا بعد المعركة. تتسم رواية الإمام البخاري بإيجاز، بينما الروايات الواردة في كتب المغازي فتفتقر إلى الارتباط الواضح. لكنها تشير مجملًا إلى أن الاشتباك الذي وقع خلال هذه المهمة الدعوية كان متأثرًا بحادثة دموية من زمن الجاهلية. ومن غير المعقول أن يكون قتل بعض الأسرى بسبب اختلاف الرأي حول لفظ "صبأنا" فقط، خاصة أن المهاجرين والأنصار

كانوا صراحةً ضد الفتوى المذكورة.

يقول الخطابي إن قول النبي ﷺ: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ خَالِدٌ." يُظهر أن النبي ﷺ استاء من تسرّع خالد في اتخاذ القرار وعدم تحققه من مراد قولهم "صبأنا". كان على خالد أن يتأكد تمامًا من مرادهم بهذا اللفظ.

وفي رواية الإمام الباقر أن النبي ﷺ استدعى عليًّا وقال له: "اخْرُجْ إِلَى هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ وَاجْعَلْ أَمْرَ الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمَيْكَ." فذهب علي ودفع دية كل فرد. وهذا يدل على أن أحقادًا وثأرات سابقة كانت من دوافع هذا القتال. فإن قول النبي ﷺ: "وَاجْعَلْ أَمْرَ الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمَيْكَ" يشير إلى أن النبي ﷺ أدرك أن أحقادًا سابقة راسبة في القلوب وهي التي سببت ذلك القتل.

كان النبي ﷺ، عندما يرسل أي بعثة، يوصيهم بعدم التسرع في القتال، وأن يتحلّوا بالرفق واللين، وأن يدعوا إلى الإسلام قبل المواجهة، ويبينوا أحكامه لإتمام الحجة، وألا يهاجموا حيث يُسمع الأذان.

أما في هذه الواقعة، فقد وصلت رسالة من بني جذيمة بقبولهم الإسلام، فأُرسلت البعثة بنية الدعوة إلى الإسلام وليس القتال. فقد ورد في "الطبقات الكبرى" لابن سعد، أنه عندما وصل خالد بن الوليد إلى بني جذيمة، سألهم: "مَا أَنْتُمْ؟" فقالوا: "مُسْلِمُونَ، قَدْ صَلَّيْنَا وَصَدَّقْنَا بِمُحَمَّدٍ وَبَنَيْنَا الْمَسَاجِدَ فِي سَاحَاتِنَا وَأَذَّنَّا فِيهَا، فسألهم خالد: فَمَا بَالُ السِّلَاحِ عَلَيْكُمْ؟، فقالوا: إن بيننا وبين قوم من العرب عداوة، فخشينا أن تكونوا هم.

بعد هذا التوضيح المذكور، لم يكن القتال معهم جائزًا بأي حال من الأحوال. ويبدو أن شرارة العداوة القديمة قد اشتعلت أثناء إقامتهم في محيط يَلَمْلَمْ، مما أدى إلى نشوب قتال مع أحد الأطراف، ولم يُعفَ هؤلاء من القتل حتى بعد إعلانهم إسلامهم بكلمة "صبأنا"، وتعرض خالد بن الوليد للوم بصفته قائد الجيش.

لقد ذكر ابن هشام خلافًا بين خالد بن الوليد وعبد الرحمن بن عوف ومغاضبة بينهما في هذه المناسبة. فقال عبد الرحمن لخالد: "عَمِلْتَ بِأَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ فِي الْإِسْلَامِ". فأجاب خالد: "إِنَّمَا ثَأَرْتَ بِأَبِيكَ"، أي: إنك أخذت بقولك هذا بثأر أبيك.

فردّ عبد الرحمن رضي الله عنه: هذا غير صحيح، فقد قتلتُ قاتل أبي وأخذت ثأره، وَلَكِنَّكَ ثَأَرْتَ بِعَمِّكَ الْفَاكِهِ بْنِ الْمُغِيرَةِ، حتى نشب بينهما شر وغضب بعضهما من بعض. فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ، قال: "مَهْلًا يَا خَالِدُ، دَعْ عَنْكَ أَصْحَابِي، (هؤلاء كانوا أصحابه الأوائل) فَوَاللَّهِ لَوْ كَانَ لَكَ أُحُدٌ ذَهَبًا ثُمَّ أَنْفَقْتَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، مَا أَدْرَكْتَ غَدْوَةَ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِي وَلَا رَوْحَتَهُ"، أي: لا تتعرض لأصحابي، فوالله لو كان لك جبل أُحد ذهبًا وأنفقته في سبيل الله، ما بلغت مكانة رجل من أصحابي والتي ينالونها نتيجة

ذكر الله صباحًا ومساءً.

وفي رواية ابن إسحاق التي وردت في السيرة النبوية لابن هشام، جاء فيها أن فاكه بن المغيرة المخزومي، وعوف بن عبد عوف الزهري، وعَفَّان بن أبي العاص، ذهبوا إلى اليمن للتجارة، وعند عودتهم حملوا مال رجل من بني جذيمة توفي في اليمن لتسليمه إلى ورثته. فلقيهم في الطريق رجل من بني جذيمة يُدعى خالد بن هشام، ولما علم بموت الجذيمي، ادّعى أن هذا المال من حقه هو. فلما رفضوا تسليمه إياه، نشب بينهم قتال، قُتل فيه عوف بن عبد عوف وفاكه بن المغيرة، ونجا عفان بن أبي العاص وابنه عثمان، وأخذا مالَ فاكه وعوف. فانتهز عبد الرحمن بن عوف ﷺ الفرصة وقتل خالد بن هشام انتقامًا لأبيه عوف .غضبت قريش من هذا الحادث بشدة، وأرادوا مهاجمة بني جذيمة انتقاما لمقتوليهم وخسائرهم المالية. فقالت بنو جذيمة: إن قتل رجالكم كان حادثة فردية لم تكن لنا فيها نيّة أو علم، ونحن على استعداد لدفع التعويض عن المقتولين والخسائر المالية. فقبلت قريش اعتذارهم واقتراحهم. هذا ما رُوي في السيرة النبوية لابن هشام.

إذن، هذه هي خلفية الأحداث التي أدت إلى نشوء العداوة. والحادث المذكور آنفا أيضا ورد ضمن الأحداث التي أدّت إلى العداوة، وهذا هو السياق الذي جعل خالد بن الوليد ﷺ محل الاعتراض، ولهذا السبب ما كان الصحابة راضين عن قراره. الحقيقة أنه لا يمكن إيجاد أي عذر لخالد ﷺ، لأنه كان قد أُرسل للدعوة إلى الإسلام فقط، و لم يكن الإكراه جائزًا فيه بأي شكل. وقدم له معظم الصحابة ﷺ نصائح حسنة ولكنه لم يقبلها، مما أتاح الفرصة لبني سُليم لقتل أسراهم ليلًا. في رواية لابن إسحاق، ذُكر لخالد ﷺ تبرير أنه قاتَل بناءً على مشورة عبد الله بن حُذافة السَّهمي ﷺ، بعد أن رأى رفض القوم لقبول الإسلام. ونقل ابن إسحاق قول بعض من يعذرون خالدًا لهذا القتل لقوله: مَا قَاتَلْتُ حَتَّى أَمَرَنِي بِذَلِكَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حُذَافَةَ السَّهْمِيُّ، وَقَالَ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ أَمَرَكَ أَنْ تُقَاتِلَهُمْ لِامْتِنَاعِهِمْ مِنَ الْإِسْلَامِ. لكن هذا التبرير غير صحيح، لأن خالدًا ﷺ كان هو القائد، وليس عبد الله بن حذافة السهمي ﷺ. فسواء أصدر هذا الخطأ قصدا أو كان ناتجًا عن تأويل، فإن قائد الجيش كان مسؤولًا عنه، خاصة أن النبي ﷺ أبدى استياءً شديدًا من خالد بعد التحقيق وأعلن براءته منه. فلا بد لنا من قبول قرار النبي ﷺ. هذا الحادث لم يكن بالهيِّن حتى يبحث المرء- بعد قرار النبي ﷺ – عن تبريرات فيما إذا أصاب خالد أم أخطأ، وما دام النبي ﷺ خطّأ خالدا وأعلن براءته منه فهذا يكفي. وإذا بحث أحد عن التبريرات فإن ذلك يجعل مبدأ حرية الدين في الإسلام محل اعتراض. لقد أجاز النبي ﷺ القتال ضد المقاتلين، وأمر بالرِّفق في الدعوة إلى الإسلام. بعد فتح مكة، أرسل ﷺ عدة بعثات إلى قبائل العرب للدعوة إلى الإسلام، وأعطى قادتها تعليمات واضحة أن يجتنبوا القتال. وقد أكدت كتب المغازي والتاريخ أن هذه البعثات كانت قد بُعثت للدعوة إلى الإسلام فقط. وقد شرح الطبري هذا الأمر قائلا: قَدْ كَانَ رَسُولُ

اللَّهِ ﷺ بَعَثَ فِيمَا حَوْلَ مَكَّةَ السَّرَايَا تَدْعُو إِلَى اللَّهِ وَلَمْ يَأْمُرْهُمْ بِقِتَالٍ. أي أن الرسول ﷺ أرسل السرايا حول مكة لمنع الناس من عبادة الأوثان والدعوة إلى عبادة الله ﷻ، و لم يأمرهم بالقتال على الإطلاق. على أية حال، إن المشايخ المعاصرين المتطرفين يبحثون بناء على هذه الأشياء عن تبرير للقتل والقتال، بينما تعليم النبي ﷺ واضح تمام الوضوح بعدم القتال ضد غير المقاتلين، وقد عدّ ذلك جريمة.

إن رواية أوردها الإمام البخاري المذكورة آنفا تؤكد أن خالد بن الوليد ﷺ أُرسل إلى بني جذيمة للدعوة إلى الإسلام، فقد ورد: بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ إِلَى بَنِي جَذِيمَةَ فَدَعَاهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ فَلَمْ يُحْسِنُوا أَنْ يَقُولُوا أَسْلَمْنَا فَجَعَلُوا يَقُولُونَ صَبَأْنَا صَبَأْنَا. (أي غيّرنا ديننا، فلم يقولوا "أسلمنا" بوضوح، بل قالوا في اضطرابهم "صبأنا"، أي غيرنا ديننا. وهذا التعبير لم يكن خاصا بالقبيلة بأكملها، إذ كان أغلبهم قد أسلموا، بل كان يخص عائلة معينة خشيت الانتقام فحملت السلاح وقاتلت. وعندما رأوا هزيمتهم، أعربوا عن إسلامهم بـــقولهم: "صبأنا". والرواية التي أوردها الإمام البخاري شديدة الإيجاز، إذ لم يقبل الإمام البخاري إلا رواية تتوافق مع معياره للصحة. وذكر أن جَحْدَمْ نصح قومه بعدم إلقاء السلاح وحثهم على القتال. هذا أيضا يشير إلى خوفه من إراقة الدماء في السابق. وفي رواية ابن إسحاق السابقة نُقل قوله: "وَيْلَكُمْ يَا بَنِي جَذِيمَةَ إِنَّهُ خَالِدٌ وَاللَّهِ مَا بَعْدَ وَضْعِ السِّلَاحِ إِلَّا الْإِسَارُ وَمَا بَعْدَ الْإِسَارِ إِلَّا ضَرْبُ الْأَعْنَاقِ، فأمسك به بعض من قومه وقالوا: تريد إراقة الدماء، والناس قد أسلموا وألقوا سلاحهم، والحرب انتهت والأمن تحقق؟ حاول الناس إقناعه وأخذوا منه سلاحه، وبأمر خالد ﷺ ألقى الآخرون أيضا أسلحتهم. هذا ما ورد في السيرة النبوية لابن هشام. يتبين من هذا البيان أن مخاوف جَحْدَمْ لم تكن بلا أساس. يبدو أن الصحابة ﷺ مكثوا هناك فترة لتعليم المسلمين الجدد النواميس الإسلامية، كما يتضح من عبارة: حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمٌ أَمَرَ خَالِدٌ. وخلال هذه الإقامة، حدثت ظروف غير مرغوب فيها أدت إلى قتال بعضِ أفراد القبيلة، فهُزموا وأُسروا. ولما سُلّم الأسرى إلى المجاهدين، فليس من المستبعد أن بعض الأفراد وجدوا فرصة لتصفية أحقادهم القديمة فقتلوا الأسرى.

ذكر ابن هشام، بسند إبراهيم بن جعفر المحمودي، رؤيا النبي ﷺ وتفسيرها الذي قام به أبو بكر ﷺ كما ذكرت من قبل، حيث رأى النبي ﷺ أنه أكل لقيمات من خبز التمر والسمن والقمح كانت لذيذة، لكن لقمة علقت في حلقه، فأخرجها علي ﷺ بيده. فسر أبو بكر الصديق ﷺ هذه الرؤيا بأنها تتعلق بوفد الدعوة، وأشار بإرسال علي ﷺ لتدارك خطأ خالد ﷺ.

يتبين من هذه الرؤيا أيضا أن الحادث كان يتعلق بجزء محدود من قبيلة جذيمة وبأسرى معينين، وليس أن جميع الأسرى قُتلوا فقط لأجل قولهم "صبأنا". الواقع أن هؤلاء ما كانوا قد دخلوا الإسلام، وكان خوفهم من الانتقام السابق مسيطرا عليهم لدرجة أنهم بدأوا يقاتلون دفاعًا عن أنفسهم. وكان بعض أفراد قبيلتي سُلَيْم بن منصور و مُدْلِجُ بنُ مُرَّةَ، الذين كانوا في جيش خالد ﷺ يخشون الانتقام منهم.

فكان أفراد من قبيلة سُليم هم من قتلوا أسراهم ليلًا لأخذ ثأرهم. أما المهاجرون والأنصار فلم يقتلوا أسراهم، بل أطلقوا سراحهم امتثالًا لأوامر النبي ﷺ واتباعًا لأسوته الحسنة.

هذا ما كتبه السيد ولي الله شاه ﷺ في شرح صحيح البخاري، وكتب ملاحظة زاخرة علما ومعرفة فقال: يتضح جيدًا أنه نية خالد بن الوليد ﷺ لم تكن سيئة بل صدر منه خطأ اجتهادي، وفي عجلة اتخذ قرارًا. وأن ما آلت إليه الأحداث بعد ذلك كانت مسؤوليته تقع عليه، بصفته قائد الجيش. لهذا السبب سخط النبي ﷺ من خالد ﷺ وأعلن براءته منه أمام الله. ولما حقق النبي ﷺ في القضية، تبين أن القتل وقع نتيجة سوء الفهم، لذلك قرر ﷺ دفع الدية بدلاً من القصاص. وبعد اعتذار خالد بن الوليد ﷺ وتوضيحاته، لم يعف النبي ﷺ فحسب عن خالد (ولا يصح القول بأنه ﷺ عاقبه ودعا عليه وهذا يدل على سخط شديد) يتابع السيد ولي الله شاه قائلا: فقد عفا النبي ﷺ عن خالد وعيّنه بعد أيام قليلة فقط قائدًا للطليعة وكتيبة الفرسان في الجيش المعدة لغزوة حنين.

(فلو كان السخط قائما لما عينه ﷺ قائدا للكتيبة، ولكنه فعل ذلك)

بالإضافة إلى ذلك، ذُكرت بإيجاز سَريَّتان أخريان أولاهما "سَرِيَّة يَلَمْلَم". أرسل النبي ﷺ هذه السرية تحت قيادة هشام بن العاص ﷺ، وضمت ٢٠٠ فرد إلى يَلَمْلَمْ الواقعة جنوب شرق مكة، على مسافة ليلتين بين مكة والطائف.

وسَرِيَّة عُرَنَة: وهي وادٍ يقع مقابل عرفات. يُذكر أن النبي ﷺ عيَّن خالد بن سعيد بن العاص ﷺ قائدا لجيش يضم ٣٠٠ فرد وأرسله إلى هذه المنطقة. ذكر محمد بن عمر الواقدي هذه السرية، لكن لم يرد ذكرها عند غيره من كبار المؤرخين وكتَّاب السيرة. ولا توجد تفاصيل إضافية عنها. لذا فإن هذا الأمر قابل للنقاش هل هو صحيح أم لا، غير أنه كتب أحد كتَّاب السيرة: حسب علمنا، لم يذكر أي مؤرخ تفاصيل أعمال هذا الجيش الذي قاده خالد بن سعيد بن العاص إلى عُرَنَة. لكن لا خلاف على أنه أُرسل إلى قبيلة هُذَيْل المقيمة في عُرَنَة.

على أية حال، يُعرف من هذا بوضوح سيرة النبي ﷺ أيضاً أنه لم يمارس القسوة في أية مناسبة، وأن الاتهام الذي يوجهه أعداء الإسلام بأنه ﷺ أمر بالقتل في الحروب باطل تماما. لقد أظهر النبي ﷺ استياءً شديداً حيثما حدث شيء ولو كان بالخطأ. وسيأتي ذكر باقي غزوات النبي ﷺ وسراياه في المستقبل بإذن الله.

*****